

الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند اللغويين

الدكتور محمد صالح شريف عسكري*

المستخلص

أجمع علماء المسلمين وأرباب اللغة وأساطين البلاغة، على أن فصاحة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تظاهرها فصاحة، وأسلوبه في الحديث لا يقاربه أسلوب. وأن كلام النبوة دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، فيه جوامع الكلم، ومعجزات البلاغة والفصاحة. فاستشهدوا به في كتبهم، واستقوا منه أدلتهم لاثبات صحة لفظ، وسلامة أسلوب. غير أن بعض علماء العربية، كان له موقف المتردد، من الاستشهاد والاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وبعض آخر لم يكن كذلك. والمقال الآتي يشير الى موقف الممتنعين والمجيزين، و يتناول بالتفصيل موقف علماء اللغة، من الاستشهاد بالحديث الشريف استناداً إلى كثرة الاحاديث التي أوردوها في مصنفاتهم، وقد نقلت منها بقدر ما يتسع له حدود هذا المقال الذي يتضمن تمهيداً، ومبحثين، ثم النتيجة.

الكلمات الرئيسية: الاستشهاد، الاحتجاج، الحديث النبوي، اللغويون، مصادر اللغة

المقدمة

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى - الاستشهاد والاحتجاج:

الشاهد في الاصطلاح: قول عربي (شعراً أو نثراً) قيل في عصر الاحتجاج، يُورد للاحتجاج به على قول أو رأى أو قاعدة (اميل يعقوب، ١٩٨٨م: ٤٠٥)
والحجة في الاصطلاح: ما دل على صحة دعوى، وقيل الحجة والدليل واحد. (البرجاني، ١٩٨٧م: ١١٥)

* استاذ مساعد بجامعة اعداد المعلمين ms_shaskari@hotmail.com

تاريخ الوصول: ٨٩/٧/١٤، تاريخ القبول: ٨٩/٧/٢٤

كما يُستعمل لفظُ الحُجَّة، ومشتقَّاته، للدلالة على فصاحة عربي أو هُجنته، فيقال عنه مثلاً: يُحتجُّ به، وعلماءُ اللغة يجعلونه حُجَّةً. (فجال، ١٩٩٧م: ١٣٦)

أغراضُ الاحتجاج: للاحتجاج اللغوي غرضان. الأول: لفظي، وذلك لإثبات صحَّة استعمال لفظة أو تركيب وما يتبع ذلك من قواعد في علوم اللغة والنحو والتصريف الثاني: معنوي، ويتعلَّق بإثبات معنى الكلمة، أو معانيها، وما يتبع ذلك من قواعد بلاغية في علم المعاني والبيان والبديح.

وقد شدَّد علماء اللغة والنحو في شروط قبول الشاهد اللغوي للغرض الأول من الاحتجاج، فلم يجوزوا الاستشهاد على اللغة والصرف والنحو إلا بالقرآن الكريم، و بكلام من يُوثقُ بفصاحته من العرب، وحددوا ذلك ضمنَ عصرٍ معيَّن وقبائلٍ معيَّنة تقع ضمن دائرة الاحتجاج. أمَّا الغرض الثاني من الاحتجاج اللغوي، فيُعتمدُ فيه على: ١. القرآن الكريم ٢. الحديث الشريف ٣. كلام العرب. والعربُ الذين يُحتجُّ بكلامهم هم: الجاهليون والاسلاميون حتى سنة ١٥٠ هـ.ق/ وآخر شاعر يُحتجُّ به، ابراهيم بن هرمة - المتوفى سنة ١٥٠ هـ.ق (السيوطي، ١٩٧٦م، الاقتراح: ٧٠، اسير، ١٩٨٥م: ٥٦).

وجوزوا الاستشهاد على اللغة، بكلام المولدين وسواهم من المتأخرين عن عصر الاحتجاج - على اختلاف فيما بينهم (البغدادى، ١٩٧٩م: ٥/١ - ٢٢، الكعبى، ١٣٨٠ش: ٩)

دائرة الاحتجاج اللغوي: وبحث علماء اللغة في الشاهد اللغوي الذي يصحُّ الأخذ به، ووضعوا له دائرتين: زمانية، ومكانية، صوتاً للغة من الخلل والفساد الذي قد يرد من الدخيل. أمَّا الدائرة الزمانية، فقد حدَّدها بأقوال الجاهليين والاسلاميين حتى منتصف القرن الثاني، سواء من سكن منهم البادية أو الحاضرة، وأمَّا الشعراء فقد صنَّفوا أربع طبقات: ١. طبقة الجاهليين: كزهير، وطرفة، والأعشى وغيرهم. ٢. طبقة المخضرمين: وهم الذين شهدوا الجاهلية والإسلام، كأبي طالب، عم النبي (ص)، ولبيد، وحسان، والخنساء، وكعب بن زهير. ٣. طبقة الإسلاميين: كأبي الأسود الدؤلي، وجريير والفرزدق. ٤. طبقة المولدين أو المحدثين: كبشار بن برد، وأبي نؤاس. (عبد التواب، ١٩٩٩م: ١٠١)

وقد أجمع علماء العربية، على أن شعراء الطبقتين الأوليين، يُحتجُّ بشعرهم، بغير نزاع. أمَّا الطبقة الثالثة فمعظم اللغويين يرون صحَّة الأخذ بشعر هذه الطبقة، غير أن بعضهم كان يأتى الاحتجاج به، أمَّا الطبقة الرابعة، فقد رفض اللغويون الاحتجاج بشيء من شعرها، فيما عدا الزمخشري الذي أجاز ذلك. (السيوطي، الاقتراح، ١٩٧٦م: ٧٠، عبد التواب، ١٩٩٩م: ١٠١)

ومن حيث الدائرة المكانية، أو القبائل التي أخذوا عنها، فقد اختلفت درجاتها فى الاحتجاج بحسب قربها أو بعدها من الاختلاط بالأُمم المجاورة.

قال الفارابى «كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على

اللسان عند النطق ...، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، ... هم قيس، وتميم، وأسد، ... ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم». (السيوطى، الاقتراح، ١٩٧٦م: ٥٦، نفس المؤلف، المزهري، بلات: ٢٠٩/١، عفيفى ١٩٩٧م: ١٦٨)

«وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البرارى، ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم». (السيوطى، المزهري، بلات: ٢١١/١) على أن دائرة الاستشهاد تتسع وتضيق بحسب مدارس اللغة والنحو التى نشأت فى الحواضر الإسلامية، فالمدرسة البصرية شددت أشد التشديد فى رواية الأشعار والأمثال والخطب ضمن الدائرة المشار إليها. أما أقطاب المدرسة الكوفية، فقد اتسعوا فى الرواية عن جميع العرب بدواً وحضراً. (السيوطى، الاقتراح، ١٩٧٦م: ٢٠١، الافغانى، ١٩٦٤م: ١٩٧) كما أجمع علماء اللغة والنحو على اتخاذ القرآن الكريم على رأس مراجع الاحتجاج فى جميع علوم اللغة، لإثبات صحة لفظ أو تركيب أو معنى من المعانى، وذلك باعتباره قمة البلاغة والفصاحة فى اللغة العربية.

أما الحديث النبوى الشريف، فمن المسلم به أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أفصح من نطق بالضاد، فهو القائل: «أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ...» (الزمخشري، الفائق ١٩٦٥م، مادة (بيد): ١٢٦/١، الكعبى، ١٣٨٠هـ.ش: ٩)

المسألة الثانية - موقف العلماء من فصاحة كلام النبى (ص):

لا يختلف اثنان من المسلمين فى كمال فصاحة النبى (ص)، وعلو بلاغته، وهما من كمالات النبوة التى تفضل بها الله - تعالى - على نبيه الكريم، فهو خاتم الرسل، كما كتابه العزيز، القرآن الكريم، خاتم الكتب.

وقد صرح علماء المسلمين بإجماعهم على فصاحة النبى (ص)، وفصلوا القول فى ذلك، وفى ما يأتى نبذة من أقوالهم: وصف الجاحظ (٢٥٥ق) كلام النبى (ص) فقال: «هو الكلام الذى قلَّ عدد حروفه، وكثُرَ عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزِهَ عن التكلف»، وكان كما قال الله - تبارك وتعالى - قل يا محمد: وما أنا من المتكلمين (سورة ص/٨٦)، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعيير، واستعمل المسبوط فى موضع البسط، والمقصود فى موضع القص، وهجر الغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّدَ بالتأييد، ويُسرَّ بالتوفيق.

وهذا الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل بيد

أَلْخُطْبَ الطَّوَالِ بِالْكَلْمِ الْقَصِيرِ، وَلَا يَلْتَبِسُ إِسْكَاتِ الْخَصْمِ إِلَّا بِمَا يَعْرِفُهُ الْخَصْمُ، وَلَا يَحْتَجُّ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلَا يَطْلُبُ الْفَلَجَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَسْتَعِينُ بِالْخَلَابَةِ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ الْمَوَارِبَةَ، وَلَا يَهْمِزُ، وَلَا يَلْمِزُ، وَلَا يُبْطِئُ، وَلَا يَعْجَلُ، وَلَا يُسْهَبُ وَلَا يُحْضَرُ. ثُمَّ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ بِكَلَامِ قَطُّ أَعْمَ نَفْعًا، وَلَا أَصْدَقَ لَفْظًا، وَلَا أَعْدَلَ وَزْنًا، وَلَا أَجْمَلَ مَذْهَبًا، وَلَا أَكْرَمَ مَطْلَبًا، وَلَا أَحْسَنَ مَوْقِعًا، وَلَا أَسْهَلَ مَخْرَجًا، وَلَا أَفْصَحَ عَنْ مَعْنَاهُ، وَلَا أَبْيَنَ فِي فَحْوَاهُ، مِنْ كَلَامِهِ - ص - كَثِيرًا)) (الجاحظ، ١٩٢٦م: ٢٨٧-٢٩)

و وصف ابن الأثير الجزري - ت ٦٠٦ هـ. ق - فصاحة رسول الله (ص) فقال: (وقد عرفت - أيدك الله ... - أن رسول الله (ص) كان أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعدبهم نطقاً، وأسددهم لفظاً، وأبينهم لهجةً، وأقومهم حجةً، أعرّفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب، تأييداً إلهياً، ولطفاً سماوياً، وعنايةً ربّانيةً، ورعايةً روحانيةً. (النهاية في غريب الحديث والأثر، بلا، المقدمة ٤)

وقال الراجزي (بتصرف: ٢٨٣): (ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له (ص) إلا توفيقاً من الله، وتوقيفاً، إذ ابتعته للعرب، وهم قومٌ يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلى اختلاف مواطنهم، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب، ومنهم ذو اللؤثة والخالص في المنطق، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع، وصيغ مقصورة عليهم، لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب إلا من خالطهم، أو دنا منهم دُنُو المأخذ.

... لا يستكره في بيانه معنى، ولا يندُّ في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة، ولا تضرب له عبارة، ولا ينقطع له نظم، ولا يشوبه تكلف، ولا يشقُّ عليه منزع، ولا يعتريه ما يعترى البلغاء في وجوه الخطاب، وفنون الأقاويل، من التخاذل، وتراجع الطبع، وتفاوت ما بين العبارة والعبارة، والتكسر لمعنى بما ليس منه، والتّحيف لمعنى بالنقص فيه، والعلو في موضع، والنزول في موضع، إلى غير ذلك.

وقد نُزّه - ص - عن جميعها، وسَلِمَ كَلَامُهُ مِنْهَا وَخَرَجَ سَبْكُهُ خَالِصًا لَا شُوبَ فِيهِ، وَكَأَنَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَلْبِ اللَّغَةِ يَنْبِضُ تَحْتَ أَصَابِعِهِ. وَلَوْ هُمْ أَطَّلَعُوا مِنْهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ تَرَامَى كَلَامُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَضْدَادِ هَذِهِ الْمَعَانِي لِأَطَّلَعُوا فِي رَدِّ فَصَاحَتِهِ وَعَرَضُوا، ... فَإِنَّ الْقَوْمَ خُلِّصُوا لَا يَسْتَجِيبُونَ إِلَّا لِأَفْصَحِهِمْ لِسَانًا، وَأَبْيَنِهِمْ بَيَانًا، وَخَاصَّةً فِي أَوَّلِ النُّبُوَّةِ، وَحَدِثَانِ الْعَهْدِ بِالرِّسَالَةِ، فَلَمَّا لَمْ يَعْتَرِضْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَلَا جَلَا عَنْ أَرْضِهِمْ، وَرَأَيْنَا هَذَا الْأَمْرَ قَدْ اسْتَمَرَّ عَلَى سُنَّتِهِ، وَاطَّرَدَ إِلَى غَايَتِهِ، وَقَامَ عَلَيْهِ الشَّاهِدُ الْقَاطِعُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، عَلِمْنَا قَطْعًا وَضُرُورَةً أَنَّهُ - ص - كَانَ أَفْصَحَ الْعَرَبِ، وَأَنَّهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لِأَوْلَيْتِكَ الْقَوْمَ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٧)

المبحثُ الأوَّل: موقفُ علماءِ النحوِ مِنَ الاحتجاجِ بالحديثِ الشَّرِيفِ

كان مِنَ المنهجِ الحقِّ بالبداهة أن يتقدّمَ الحديثُ الشَّرِيفُ سائرَ كلامِ العربِ مِنْ نثرٍ وشعرٍ فى بابِ الاحتجاجِ فى اللغةِ وقواعدِ الاعرابِ، إذ لا تُعْهَدُ العربيةُ فى تاريخها بعدَ القرآنِ الكريمِ بياناً أبْلَغَ مِنْ الكلامِ النبوىِّ؛ و مع إجماعِ اللغويين والنحاةِ عامةِ على أن النبىَّ (ص) أفصحَ العربِ قاطبةً، ... انقسموا فيما يُروى مِنَ الأحاديثِ فريقيين: (السيوطى، المزهري، بلات: ٢٠٩/١، الافغانى، ١٩٦٤م: ٤٧) ١. المانعون: ومن أعلامهم: ابن الضائع (ت ٦٨٠ هـ.ق.)، وأبو حيان (ت ٧٥٤ هـ.ق.).

قال أبو الحسن بن الضائع فى (شرح الجمل): تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة - كسيبويه - الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا فى ذلك على القرآن، وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث، لكان الأوَّلُ فى إثبات فصيح اللغة كلام النبى - ص -؛ لأنّه أفصح العرب. (السيوطى، الاقتراح، ١٩٧٦م: ٥٤) وعبر أبو حيان عن موقفه المتحفّظ من الاستشهاد عندما أنكر على (البدر الدمامينى) شارح (التسهيل) كثارته الاستدلال بالحديث النبوى، وهذا قوله: وقد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الاحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب، وما رأيت أحداً مِنَ المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره. (السابق، ٥٢)

ويرى أبو حيان أن أئمة النحو من البصريين والكوفيين، وغيرهم من نُحاةِ الأقاليم كُنْحاةِ بغداد والاندلس، أحجموا عن الاستدلال باحاديث النبى (ص) لأمرين: أحدهما: أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ...

الامر الثانى: أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن فى كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك. (السابق، ٥٤) ٢. المجوزون: وعلى الرغم من هذا - أى رأى الممتنعين - فقد لقى رأى القائل بحجّية الحديث فى أمور اللغة تأييداً مطرداً (يوهان فك، ٢٣٥)

فقد استشهد بالحديث كبار أعلام اللغة والنحو، أمثال سيبويه، والفراء، وأبى على الفارسى، والمبرد، وفى هذا ردُّ صريح على ما ذهب اليه ابن الضائع. فكان أوَّل مَنْ أكثر من الاستشهاد بالحديث، هو الزمخشري (ت ٥٣٨) فى سائر كتبه، وفى شرحه لفصيح ثعلب «بلغ عدد الأحاديث والآثار التى استشهد بها، مائة وواحد وثمانين (١٨١) حديثاً، وهذا عدد كبير إذا ما قورن بما فى بعض كتب اللغة» (الزمخشري، شرح الفصيح، ١٤١٧ هـ.ق ١/١٨٤)، ثم النحوى الاندلسى: ابن خروف (ت ٦٠٩ هـ.ق.)، وتابعه على ذلك ابن مالك، صاحب الألفية (ت ٦٧٢). (عبد التواب،

١٩٩٩م: ٩٨)، والرضي الأسترآبادي (ت ٦٨٦ هـ.ق)، شارح أبيات كافية ابن الحاجب، والذي زاد الاحتجاج بحديث أهل البيت عليهم السلام.

ثم جاء (ابن هشام) (ت ٧٦١ هـ.ق) تلميذ أبي حيان، وتقيضه في مذهبه إزاء الاستشهاد بالحديث، يُكثِرُ من الاحتجاج به في كتبه ما وجدَ إلى ذلك سبيلاً، كغيره من النحاة، حتى لفت نظر مترجميه على أنه، كان كثير المخالفة لشبخته أبي حيان، شديد الانحراف عنه (فجال، ١٩٩٧م: ١٠٧) وفي هذا ردُّ صريح آخر على ابن الضائع وابي حيان.

وقال المجوزون في الردِّ على المانعين أنَّ النقلَ بالمعنى لا يصح الاستدلال به على اطلاق عدم جواز الاحتجاج بالحديث؛ لأنَّه لم يقع عند كثير من المُحدِّثين، والذي وقع منه لا يصحُّ الاستشهاد به، على أنَّه لفظ النبي الأكرم (ص). قال صاحب الكفاية (البغدادي، الخطيب، ١٩٨٦م: ٢٣٢): «إنَّ كثيراً من علماء السلف لا تُجوزُ الرواية على المعنى بل يجب تأدية اللفظ بعينه من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا حذف» (ايضاً: الشانجي، مدير، بلات: ١٣٠)

ونقل الخطيب عن (الأعمش) قوله: «كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لئنُ يخرَّ من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفاً أو دالاً» (الكفاية في علم الدراية، ٢١٢)

أمَّا حول الأمر الثاني، فإنَّ الرواة تحرَّزوا من اللَّحن في الأحاديث المروية باللفظ عن رسول الله (ص)، وشدَّدوا على ضرورة عدم وقوعه. وقالوا: ((مَنْ قرأ حديثَ رسولِ الله، وهو يعلمُ أنَّه يلحنُ فيه، سواء أكان في أدائه أم في إعرابه، يدخل في هذا الوعيد الشديد، (يعنى قوله (ص): مَنْ كذبَ على مُتعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، لأنَّه بلحنه كاذبٌ عليه)) (القاسمي، ١٩٧٩م: ١٧٣)

وقال أبو الطيب: وأمَّا ادعاء اللَّحن في الحديث فهو باطل؛ لأنَّه إنَّ أراد اللَّحن الذي هو الخطأ في الإعراب بحيث لا يتخرج على وجه من الوجوه، فهذا لا وجود له في شيء من الأحاديث أصلاً. (ينظر: الفاسي، ١٩٧٩م: ١٠٠) «والقول بأن في رواية الحديث أعاجم قول لا يعتد به؛ لأن ذلك يقال في رواية الشعر والنثر، اللذين يحتج بهما، فإن فيهم الكثير من الأعاجم». (فجال، ١٩٩٧م: ١٢٣، ١٠٩)

وهذا شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ.ق) يقول في مقدمة تفسيره (التبيان): «ومن طرائف الأمور أنَّ المخالف إذا أورد عليه شعر من ذكرناه - يريد النابغة الجعدي، وزهير، وغيرهما - ومن هو دونهم، سكنت نفسه واطمأن قلبه، وهو لا يرضى بقول محمد بن عبد الله بن عبد المطَّلب (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومهما شكَّ الناس في نبوته فلا مريَّة في نسبه وفصاحته، فإنَّه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى في الفصاحة». ويرجع إليهم في معرفة اللغة، ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلِّقاً عليه في اللحن والغلط والمناقضة، لتعلَّقوا به، وجعلوه حجَّةً

محمد صالح شريف عسكرى ١٠٣

وذريعةً إلى إطفاء نوره وإبطاء، أمره واستغنوا بذلك عن تكلف ما تكلفوا من المشاق في بذل النفوس و الامور. و لو فعلوا ذلك لظهر واشتهر ...، ثم قال:

وقد علمنا أنه ليس بأدون الجماعة في الفصاحة، وكيف يجوز أن يحتج بشعر الشعراء عليه، ولا يجوز أن يحتج بقوله عليهم، وهل هذا إلا عناد محض، وعصبية صرف؟ وإنما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتساعاً في العلم وقطعاً للشغب وإزاحةً للعلّة، وإلا فكان يجب أن لا يلتفت إلى جميع ما يطعن عليه، لأنهم ليسوا بأن يجعلوا عباراً عليه بأولى من أن يجعل هو - عليه السلام - عباراً عليهم .

(الطوسى، بلات، ١: ١٦) وفي كلام الطوسى تصريح واضح بالرد على الممتنعين.

و قد قسم أبو اسحاق الشاطبى الأحاديث إلى قسمين:

القسم الاول: ما يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه، وهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان.

القسم الثانى: ما عرف اعتناء ناقله بلفظه، لمقصود خاص، كالأحاديث التى قصد بها فصاحته

- ككتبه، والامثال النبوية - وهذا القسم يصح الاستشهاد به فى النحو. (فجال، ١٩٩٧م: ٩)

وكان هذا التقسيم الذى قدّمه الشاطبى الأساس الذى بنى عليه أرباب اللغة المعاصرون

موقفهم من حجية الحديث، وقالوا:

من الاحاديث ما لا ينبغى الاختلاف بالاحتجاج به فى اللغة و (القواعد)، وهو ستة أنواع:

أولها: ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته - عليه الصلاة والسلام - كقوله: «حَمِيَّ الوطيسُ»، وقوله «مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ»، وقوله: «الظُّلْمُ ظُلْمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، إلى نحو هذا من الاحاديث القصار المشتملة على شىء من محاسن البيان.

ثانها: ما يروى من الاقوال التى يُتَعَبَّدُ بها، أو أمر بالتَّعَبُّدِ بها، كألفاظ القنوت والتحيات، وكثير من الاذكار والادعية التى كان يدعو بها فى أوقات خاصة.

ثالثها: ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم. ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون فى هذه الانواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه.

رابعها: الاحاديث التى وردت من طرق متعدّدة، وأتحدت ألفاظها فإن اتحدت الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا فى ألفاظها، والمراد أن تتعدد طرقها إلى النبى (ص) ...

خامسها: الاحاديث التى دَوَّنَهَا مَنْ نَشَأَ فى بيئته عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة.

سادسها: ما عرف من حال روايته أنهم لا يميزون رواية الحديث بالمعنى ...

ومن الاحاديث ما لا ينبغى الاختلاف فى عدم الاحتجاج به وهى الاحاديث التى لم تدون

فى الصدر الأوّل، وانما تروى فى بعض كتب المتأخرين ...

والحديث الذي يصحُّ أن تختلف الانظارُ في الاستشهاد بألفاظه، هو الحديث الذي دُوِّنَ في الصِّدْرِ الأوَّلِ ولم يكن من الأنواع الستة المبينة آنفاً، وهو على نوعين: حديث يردُّ لفظه على وجه واحد، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه:

١. أمَّا الحديث الوارد على وجه واحد، فالظاهر صِحَّةُ الاحتجاج به؛ نظراً إلى أنَّ الأصل الرواية باللفظ، وإلى تشديدهم في الرواية بالمعنى ...
٢. وأمَّا الأحاديث التي اختلفت الرواية فيها .. فنجز الاستشهاد بها بما جاء في رواية مشهورة، لم يغمزها أحد المحدثين بأنها وهمٌّ من الراوي ...

وخلاصة البحث أننا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروى في كتب الحديث المدوَّنة في الصدر الأوَّل، وإن اختلفت فيها الرواية، ولا نستثنى إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمراً لا مردَّ له، ويشدُّ أزرنا في ترجيح هذا الرأي أنَّ جمهور اللغويين، وطائفة عظيمة من النحويين، يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث ولو على بعض رواياته (فجال ١٩٩٧م: ١٢٨، الافغاني، ١٩٦٤م: ٥٥)

وفي هذا بيان جليُّ لما ذهب إليه جلة من القدماء، ونخبة من المعاصرين، فيما يصح به الاستشهاد من حديث النبي الأكرم (ص) - أي الاحتجاج به - في مسائل اللغة.

المبحث الثاني: موقف علماء اللغة من الاستشهاد بالحديث الشريف

استشهد أعلامُ العربيَّة بالحديث النبوي الشريف في مسائل اللغة. منهم: أبو عمرو بن العلاء، والخليل، والكسائي، والفراء، والاصمعي، وأبو عبيدة، وابن الاعرابي، وابن السكيت، وابوحاتم، وابن قتيبة، والمبرد، وابن دريد، وأبو جعفر النحاس، وابن خالويه، والأزهري، والفارابي، والصاحب بن عباد، وابن فارس، والجوهري، وابن بري، وابن سيده، وابن منظور، والفيروزآبادي، وغيرهم (فجال، ١٩٩٧م: ١٠٠)

ونظرة إلى معاجم (التهذيب للأزهري) و(الصحاح للجوهري) و(المجمل، والمقاييس لابن فارس) و(الفائق للزمخشري) كافية لدحض ما ادعى أبو حيان، بل قد عدَّ ابن الطَّيِّب من أصحاب هذا المذهب من النحاة: ابن فارس، وابن خروف، وابن جنى، وابن بري، والسهيلي، بل أنه قال: لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل، وأبو الحسن الضائع، في شرح الجمل، وتابعهما على ذلك الجلال السيوطي (٩١١ هـ.ق). (الافغاني، ١٩٦٤م: ٤٩. أيضاً مقاييس اللغة: ٢٧/١، ٤٤، ٢٨٦، ١٦/٢، ٥٦، ٢٠٧، ٤٢٩، ١١/٣، ٢٠٦، ٢٨٧، ٤٤٧، ١٨٤/٤، ٣٢٦، فما بعد، والمجمل ٤٣، ٦٠، ٨٣، ١١٦، ٢٤٦، فما بعد.)

قال السيوطى (قال أبو الحسن الشارى: ومذهبي ومذهب شيخى أبى ذر الخشنى، وأبى الحسن ابن خروف أن (الزبيدى) أخل بكتاب (العين) كثيراً، لحذفه شواهد القرآن والحديث، وصحيح أشعار العرب منه ... ولما علم ذلك الامام (التيانى) عمل كتابه (فتح العين) وأتى فيه بما فى العين من صحيح اللغة ... دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث ... (السيوطى، المزهري، بلاغ ٨٨١) فهذا صريح فى أن (الخليل) كان يستشهد فى كتابه (العين) بالحديث، ولم يكن الخليل بدعاً من اللغويين، وما صنعه (الخليل) صنعه غيره من أئمة اللغة ...

ويمكن أن نقول: إنه لا يختلف موقف النحاة عن موقف اللغويين، إذ لا يعقل أن يستشهد الخليل مثلاً بالحديث فى اللغة، ثم لا يستشهد به فى النحو، واللغة والنحو صنوان، يخرجان من أصل واحد. وإن كانت شواهد النحاة من الحديث ليست فى غزارة شواهد اللغويين فى كثرتها، فهى قليلة بالنسبة إليها، وبخاصة عند النحاة القدماء. (فجال، ١٩٩٧م: ١٠١)

وبعد هذه الإضاءة التى قدّمناها عن موقف اللغويين، بل النحويين حول الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف فى مسائل اللغة، نذكر طائفة من الأحاديث التى وردت فى مصنفات اللغويين، فى الأغلب، لبيان معانى الألفاظ، ثم الاستدلال على فصاحتها، وصحة استعمالها، بكلام لا يشك بفصاحتها، ألا وهو الكلام النبوى الشريف. وقد اقتطفنا هذه الباقية العطرة من الاحاديث، بقدر ما يتسع له المقال، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر.

وقد اعتمدنا الترتيب الزمنى فى ذكر مصادر الاستشهاد، أى معاجم الألفاظ، للتدليل على التزام أفاض اللغة، فى مختلف العصور، بمنهج المجوزين. وإليك المصادر:

١. معجم العين للخليل (١٤٠٥ هـ.ش)

مادة: (خضر) (١٧٥/٤): وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وخضراء الدمن». يعنى: المرأة الحسنة فى منبتِ السوء، يُشبهها بالشجرة الناضرة فى دمنة البعر.

مادة: (درب) (٢٩/٨): ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا أبرذتم إلى بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم».

مادة: (رجز) (٦٤/٦): قال الخليل: الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر، وقيل له: ما هما؟ قال: أنصاف مسجعة، فلما ردّ عليه قال: لأحتجنّ عليهم بحجة فإن لم يقرأوا بها عسفوا فأحتجّ عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يجرى على لسانه الشعر.

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتىك بالأخبار من لم تُرود.

فكان يقول عليه السلام: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك من لم تُرود
فقد علمنا أن النصف الذي جرى على لسانه لا يكون شعراً إلا بتمام النصف الثاني على لفظه
وعروضة، فالرَجَزُ المشطورُ مثل ذلك النصف.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق: هل أنت إلا إصبع دَمِيتِ ... وفي سبيل
الله ما لقيت

فهذا على المشطور. وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أنا النبيُّ لا كَذِبُ ... أنا ابنُ عبدِ المُطَلِّبِ
فهذا من المنهوك، ولو كان شعراً ما جرى على لسانه، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: وما علَّمناه
الشعرَ وما ينبغي له (يس/٦٩) قال فعَجِبنا من قوله حين سمعنا حجَّته.

[وفي كلام الخليل الفراهيدي، كبير أعلام اللغة، بل رأسهم، شاهد جلي على اهتمام اللغويين،
بالحديث النبوي الشريف، والعناية بمفرداته، وجمله]

٢. جمهرة اللغة لابن دريد (١٩٨٧م)

مادة: (خبث): ونزل به الأخبثان: الرجيع والبؤل. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يُصَلِّ
أحدكم وهو يدافع الأخبثين".

مادة: (بخق): بَخَقَتْ عينُه تَبْحَقُ بَخَقًا، إذا انخسفت، والعين باخقة، والرجل أَبْحَقُ والأنتى بَخَقَاءُ.
... وفرس خَبِقٌ وخَبِقٌ، وهو السريع. وفي ترقيص النبي صلى الله عليه وسلم للحسين بن علي
رضي الله عنهما: "خَبَقَةٌ خَبَقَةٌ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ"، بالخاء المعجمة، وأصحاب الحديث يروون بالحاء.

مادة: (بره): والأبهران: عِرْقَانِ فِي الظَّهْرِ. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما زالت
أكلَّة خبير تُعادني فالآن أوان انقطاع أبهرى". قال أبو بكر: تعادني من العِداد، وهو مثل عِداد
الملدوغ الذي يعاوده مرض في كل سنة من اللدغ.

مادة: (ترعة): وأترعتُ الإناء، إذا ملأته، فهو مُتَرَعٌ. والترعة، قال قوم: الروضة. وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم: "مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تَرَعَةٍ مِنْ تَرَعِ الْجَنَّةِ"، قالوا: الروضة وقال قوم: الباب
وقال قوم: الدرجة، والله أعلم.

٣. تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٠٠م)

مادة (أب): وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أقبل من سفر قال: آيئون تائبون
لربنا حامدون.

محمد صالح شريف عسكرى ١٠٧

وقال تعالى: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (سورة ص: ٢٥) أى: حُسن المرجع الذى يصير إليه فى الآخرة.

مادة: (اخر): ومعنى "آخر": شىء غير الاول الذى قبله.

واما "الآخر" بكسر الخاء - فهو الله جل وعز «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» ورؤى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال - وهو يُمجِّدُ الله: «أنتَ الأوَّلُ فليس قبلك شىءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدك شىءٌ».

٤. المحيط فى اللغة لابن عباد (١٩٧٥م)

مادة: (قرن): ...، والقرنان: ما يُبنى على رأس البئر من طين أو حجارة تُوضع عليهما النعامَةُ. وفى الحديث: ان النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قال لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - «إِنَّ لَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ لَذُو قَرْنَيْهَا» أى أنت فى هذه الأمة شبيه بذى القرنين فى أمته، وقيل: إِنَّكَ ذُو قَرْنَى الْجَنَّةِ: أى ذو طرفيها

مادة: (بردة): وفى الحديث: "لا تُبَرِّدُوا عن الظالم" أى لا تشتموه فتخففوا من عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ.

مادة: (برق): وفى الحديث: "الجنة تحت البارقة" يُريد فى الجهاد.

٥. الصحاح للجوهري (١٩٥٦م)

مادة: (عقب): عاقبة كل شىء: آخره. وقولهم: ليست لفلان عاقبة، أى ولد. وفى الحديث: "السيد والعاقب" فالعاقب: من يخلف السيد بعده. وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا العاقب" يعنى آخر الأنبياء.

مادة: (فدح): فدحه الدين: أثقله، وفى حديث ابن جريج أن رسول الله (ص) قال: ((وعلى المسلمين أن لا يتركوا مفدوحاً فى فداء أو عقل)).

مادة: (أدم): وفى الحديث: "لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"، يعنى أن تكون بينكما المحبة والاتفاق. (ايضاً الشريف الرضى، بلات، ١٠٥)

مادة: (خدج): وفى الحديث: «كلُّ صلاةٍ لا يُقرأ فيها بأَمِّ الكتابِ فهى خِدَاجٌ»

٦. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٢٠٠٠م)

مادة: (بخل): والمبخل: الشىء الذى يحملك على البخل، وفى حديث النبى، صلى الله عليه وسلم: "الولد مجبنة مجهلة مبخله".

مادة: (بعل): والبعلُ من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء. وقيل: هو ما اكتفى بماء السماء. وبه فسر ابن دريد ما فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم، لأكيدر بن عبد الملك "لكم الضامنة من النخل ولنا الضاحية من البعل" الضامنة: ما أطاف به سور المدينة. والضاحية: ما كان خارجاً.

مادة: (بهو) ... والباهى من البيوت: الخالى المعطل، وقد أُنْهَأُ، قال بعضهم: "لما فتحت مكة قال رجل:

أُنْهَأُ الخيل": أى عطلوها فلا يغز عليها، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: "الخيال فى نواصيها الخير" أى لا تعطل، وإنما قال: "أُنْهَأُ الخيل" رجل من أصحابه.

مادة: (حلل): حَلَّ يَحِلُّ حِلًّا. واحلَّه الله وحلَّله وقوله تعالى يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا فسرته ثعلب فقال:

هذا هو النسيء، كانوا فى الجاهلية يجمعون أياما حتى تصير شهرا، فلما حج النبى صلى الله عليه وسلم قال: "الآن استدار الزمان كهيئته".

مادة: (حوب): وفى حديث النبى عليه الصلاة والسلام "اللهم اقبل توبتى وارحم حوبتى" فحوبتى يجوز أن يكون هنا توجعى، وأن يكون تخشعى وتمسكى.

٧. أساس البلاغة للزمخشري (١٩٦٥م)

مادة (حجز): حَجَزَ الشَّيْءَ وَاحْتَضَنَهُ: احْتَمَلَهُ فى حُجْرَتِهِ وَحَضَنَهُ. وَمِنَ الْمَجَازِ: رَجُلٌ طَيِّبٌ الْحِجْرَةَ. وأخذ بحجزة فلان: استظهر به. وروى على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم قال له:

"إذا كان يوم القيامة، أخذت بحجزة الله، وأخذت أنت بحجرتى، وأخذ ولدك بحجرتك، وأخذت شيعة ولدك بحجرتهم، فترى أين يومر بنا"

مادة (رحل): ومن المجاز: رحلت الرجل رحلاً، وارتحلته ارتحالا: ركبته. وعن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم حين ركب الحسين فأبطأ فى سُجُودِهِ "إن ابنى ارتحلنى".

مادة (نصل): وتنصل من ذنبه. وعن النبى صلى الله عليه وسلم: "من لم يقبل من متنصل صادقاً أو كاذباً لم يرد على الحوض".

٨. معجم العباب الزاخر للصابغاني (١٩٧٧م)

مادة: (أسف): الأسف: شدة الحزن، يقال: أسف - بالكسر - يأسف أسفاً، قال الله تعالى: (عَصَبَانَ

أسفياً أى شديد الغضب، ويقال: أسف عليه: أى غضب. وسئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن موت الفجاءة فقال: راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر.

مادة: (أنف): الأنف: معروف، والجمع أنف وأنوف وأناف. وأنف البعير - أيضاً - إذا اشتكى أنفه من البرة؛ فهو أنف - بالقصر -؛ عن ابن السكيت، ومنه حديث النبي - صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم - «المؤمنون هيينون ليينون كالجمل الأنف، إن قيد أنقاد، وإن استنخ على صخرة استنخ»

مادة: (أوف): الآفة: عرض مفسد لما أصاب من شيء، وقيل: العاهة. وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الظرف الصلف، وآفة الجود السرف، وآفة الدين الهوى.

مادة: (برأ): تقول: برئت إليك من كذا: أى أنا برى منه فلا عتب لك على، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنْصَرَفَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ بَنِي جَدِيمَةَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ، قالها مرتين، وذلك أنه لما غشيهما جعلوا يقولون صبأنا صبأنا أرادوا أسلمنا.

مادة: (بوأ): وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ.

مادة: (جرف): وجرفة الخبز وجلفته: كسرتة، وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال: بيت يكنه وثوب يوارى عورته وجرف الخبز والماء.

مادة: (جلس): جلس الرجل يجلسُ جلوساً أو مَجْلَساً - بفتح اللام - ومنه حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرُقَاتِ، قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال: فَإِذَا أُبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: غَضُّ الْبَصْرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ

٩. لسان العرب لابن منظور (١٩٨٨م)

مادة (ألس): والألس: الغدر. والألس: الكذب. والألس والألس: ذهاب العقل وتذهيله؛ ... وفي حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه دعا فقال: اللهم إني أعوذ بك من الألس والكبر؛ قال أبو عبيد: الألس هو اختلاط العقل، وخطأ ابن الأثير من قال هو الخيانة. والمألوس: الضعيف العقل. مادة (برز): وذهب إبريز: خالص؛ عربي؛ قال ابن جنى: هو إفعيلٌ من برز.

وفى الحديث: ومنه ما يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَى الْخَالِصِ، وَهُوَ الْإِبْرِيْزِيُّ أَيْضاً، وَهَمْزَةٌ وَالْيَاءُ زَائِدَتَانِ.

وروى أبو أمامة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إِنْ اللهُ لَيُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا يُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ، فَمَنْ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ، فَذَلِكَ الَّذِي نَجَاهُ اللهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الذَّهَبِ دُونَ ذَلِكَ وَهُوَ الَّذِي يَشْكُ بَعْضُ النَّاسِ، وَمَنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ وَذَلِكَ الَّذِي أُقْتِنُ؛ قَالَ شَمْرُ: الْإِبْرِيْزُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَهُوَ الْإِبْرِيْزِيُّ وَالْعَقِيَانُ وَالْعَسْجَدُ. مادة: (بلل): وَبَلَّ رَحِمَهُ يَبْلُغُهَا بَلًّا وَبِلَالًا: وَصَلَهَا. وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ أَى نَدُّوْهَا بِالصَّلَةِ.

١٠. تاج العروس للزبيدي (١٩٦٥م)

مادة (أفك): ...وفى حديث بشير بن الخصاصية قال له النبي صلى الله عليه وسلم: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ رَبِيعَةَ، قَالَ: أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ لَوْلَا رَبِيعَةُ لَأَتَنَّكَتِ الْأَرْضَ بِمَنْ عَلَيْهَا أَى: أَتَقَلَّبْتُ.

مادة (آل): وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ" قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلَهُ هُمُ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ وَعُوْضُوا مِنْهَا الْخُمْسَ، وَهُمْ صَلِيْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ. وَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ آلُكَ؟ فَقَالَ: "آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ عَبَّاسٍ".

مادة (بتع): الْبِتْعُ، بِالْكَسْرِ، وَكَعَنْبٍ، مِثَالُ قِمْعٍ وَقِمْعٍ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، كَمَا فِي الصَّحَاحِ، ... وَفِي الْحَدِيثِ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِتْعِ فَقَالَ: كُلُّ شَرَابٍ أُسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ.

النتيجة

لقد تبين في هذه الدراسة، من خلال استعراض آراء النحويين، واللغويين، أن بعض أعلام النحو تردّد في مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، متذرّعاً بعلل، رفضها جماعة كبيرة من أعلام العربية القدامى والمعاصرين، بل أن التردّد يكاد ينحصر في ثلاثة من هؤلاء الاعلام، وهم ابن الضائع، وأبوحيان، والسيوطي، وهم قلة قياساً بأعلام المجوزين، وحتى هؤلاء أنفسهم، لم يتركوا الاستشهاد بالحديث في بعض كتبهم، كالسيوطي الذي استشهد بما يربو على مائة حديث في كتابه الهمع (السيوطي، همع الهوامع، بلاط ٣١/١، ٤٠، ٤١، فما بعد).

أمّا أغلب النحاة، وأعلام اللغة، والمعجميين، فقد استشهدوا في مسائل النحو واللغة، والبلاغة،

بالحديث الشريف، متى عرضت لهم مسألة، غير ناظرين لحجج الممتنعين، بعد أن وجدوا في أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بحراً زاخراً من الكلمات، والجمل والأساليب العربية الفصيحة. وقد دلت الشواهد الحديثية، التي زينوا بها صفحات مصنفاتهم، أنهم اعتنوا بهذا الجانب العظيم من صرح العربية، عناية فائقة وأولوه مزيد الاهتمام، وأنهم متى احتاجوا إلى حجة بالغة من العربية، استقوها من الحديث الشريف.

فهذا إمام العربية، الخليل الفراهيدى - كما مر من أحاديث العين - يلجأ إلى نصوص الحديث النبوى، لإثبات رأيه؛ لأنه يجد في ذلك حجة دامغة، ويرد على خصومه، بشاهد من الحديث الشريف، ويقول «لأحتجَّن عليهم بحجة فإن لم يقرّوا بها عسفوا» فأحتج عليهم بقول النبى الأكرم (ص) - راجع تمام كلامه فى العين (١٤٠٥ هـ.ق، ١٧٥/٤)، وفى هذه الدراسة. وتابعه على هذا النهج من جاء بعده من اللغويين، وأساطين العربية، سواء فى إثبات صحة لفظ أو بيان معنى، أو سلامة استعمال. دون أن يعبا برأى المانعين.

لنا فى الاستشهاد على منهجهم، وفرة زاخرة من الشواهد الحديثية، التى نقلنا منها اضمامة عطرة، و جانباً يسيراً، وفى حدود ما يتسع له هذا المقال، ومن أراد المزيد، فليراجع كتب اللغة، ومصنفات العربية، كالمعجمات، وكتب الغريب، التى أشرنا إليها فى ثنايا البحث، وذكرناها فى مسرد المصادر، أمثال (النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الجزرى)، و(غريب الحديث للهروى)، و(المجازات النبوية للشريف الرضى)، و (الفائق للزمخشري) وغيرها. والله الموفق للصواب.

المصادر

- ابن دريد، أبو بكر بن الحسن، ١٩٨٧م/الجمهرة فى اللغة، ط١، تحقيق الدكتور رمزى منير العلبكى، بيروت، دار العلم للملايين.
- ابن سيده، أبو الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسى المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ.ق)، ١٤٢١ هـ.ق / ٢٠٠٠م، المحكم والمحيط الأعظم، ط١، تحقيق عبد الحميد هندواى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن عباد، صاحب، ١٩٧٥م، المحيط فى اللغة، تحقيق الشيخ محمدحسن آل ياسين، بغداد (بلا).
- ابن فارس الرأزى، أبو الحسين أحمد، ١٤١٤ هـ.ق / ١٩٩٤م، المجمل فى اللغة، حققه الشيخ شهاب الدين أوعمر، بيروت، دار الفكر.
- ابن فارس الرأزى، أبو الحسين أحمد، ١٣٨٩ هـ.ق / ١٩٦٩م، مقاييس اللغة، بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط٢، مصر، البابى الحلبى.
- ابن منظور الافريقى (٦٣٠ - ٧١١ هـ.ق)، ١٤٠٨ هـ.ق - ١٩٨٨م، لسان العرب، ط١، علق عليه على شيرى، بيروت، دار احياء التراث العربى.

- الأزهرى، أبو منصور محمد بن احمد (٢٨٢-٣٧٠ هـ.ق)، ١٤٢١ هـ.ق، تهذيب اللغة، ط ١، اشراف محمد عوض، بيروت، دار احياء الراث العربى.
- اسبر، محمد سعيد، وجنيدى بلال، ١٩٨٥ م، الشامل معجم فى اللغة العربية ومصطلحاتها، ط ٢، بيروت، دار العودة.
- الأفغانى، سعيد، ١٩٦٤ م، فى أصول النحو، الطبعة الثالثة، مطبعة جامعة دمشق، دار الفكر.
- البغدادى، الخطيب، الامام الحافظ المحدث أبو بكر، أحمد بن على، ١٤٠٦ هـ.ق / ١٩٨٦ م، الكفاية فى علم الدراية، ط ٢، تحقيق و تعليق الدكتور أحمد عمر هاشم، بيروت، دار الكتاب العربى.
- البغدادى، عبد القادر، ١٩٧٩ م، خزائن الأدب، ط ٢، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، ١٣٤٥ - ١٩٢٦ م، البيان والتبيين، ط ١، تحقيق حسن السندوى، مصر - القاهرة، المطبعة التجارية الكبرى.
- الجرجاني الحنفى، السيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبو الحسن الحسينى، ١٤٠٧ هـ.ق / ١٩٨٧ م، التعريفات، ط ١، تحقيق و تعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب.
- الجزرى، الامام مجد الدين، المبارك بن محمد، أبو السعادات، (بلاط) النهائية فى غريب والائر، بيروت، المكتبة العلمية.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد، ١٩٥٦ م، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، مصر، دار الكتاب العربى.
- الرافعى، مصطفى صادق، ١٩٧٤ م، تاريخ آداب العرب، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربى.
- الزبيدى، محمد مرتضى الحسينى، ١٣٨٥ هـ.ق / ١٩٦٥ م، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار احمد فراج، الكويت، دار الهداية.
- الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ.ق)، جار الله ابى القاسم محمود بن عمر، ١٣٨٥ هـ.ق / ١٩٦٥ م، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر.
- الزمخشري، ١٤١٧ هـ.ق، شرح الفصيح، تحقيق ودراسة الدكتور ابراهيم عبدالله بن جمهور الغامدى، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
- الزمخشري، ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ.ق، الفائق فى غريب الحديث، تحقيق على محمد الجاوى ومحمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت، دار الفكر.
- السيوطى، جلال الدين، ١٩٧٦ م، الاقتراح فى علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، (بلا)، القاهرة.
- السيوطى، جلال الدين، (بلاط) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وزميليه، القاهرة، دار احياء الكتب العربية .
- السيوطى، جلال الدين، (بلاط) همع الهوامع، عنى بتحقيقه السيد محمد بدر الدين النعسانى، قم، تصوير منشورات الرضى - زاهدى.
- الشانجى، مدير، كاظم، (بلاط) علم الحديث و دراية الحديث، ط ٣، قم، دفتر انتشارات اسلامى.
- الشريف الرضى، (بلاط) المجازات النبوية، حققه وعلق عليه مروان العطية ومحمد رضوان الداية، دمشق، منشوات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق.
- الصاغاني، الحسين بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوى العمري، رضى الدين، ١٩٧٧ م، العباب الزاخر واللباب الفاخر، (بلا)، بغداد.

محمّد صالح شريف عسكرى ١١٣

الطوسى، محمد بن حسن، (بلاّت) التبيان فى تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربى.
عبد التواب، دكتور رمضان، ١٤٢٠ هـ.ق / ١٩٩٩ م، فصول فى فقه العربية، ط٦، القاهرة، مكتبة الخانجى.
عفيفى، الدكتورة زينب، ١٩٩٧ م، فلسفة اللغة عند الفارابى، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
الفاسى، أبو الطيب، ١٤٠٣ هـ.ق، ١٩٨٣ م، تحرير الرواية فى تقرير الكفاية، تحقيق الدكتور على حسين البواب،
الرياض، دار العلوم.

فجال، الدكتور محمود، ١٤١٧ هـ.ق / ١٩٩٧ م، الحديث النبوى فى النحو العربى ط٢، الرياض، أضواء السلف.
الفرايدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (١٠٠ - ١٧٥ هـ.ق)، ١٤٠٥ هـ.ق، كتاب العين، ط١، تحقيق: الدكتور
مهدى المخزومى، والدكتور ابراهيم السامرائى، ايران - قم، منشورات دار الهجرة.

القاسمى، جمال الدين محمد، ١٩٧٩ م، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، دار إحياء السنة.
الكعبى، موسى، الشواهد الشعرية ومناساتها فى الكتب الحديثية، مجلة علوم الحديث العدد ٩، ١٣٨٠ هـ.ش، طهران،
ص ٨ - ١٣

يعقوب، الدكتور أميل بديع، ١٩٨٨ م، موسوعة النحو والصرف والاعراب، ط١، بيروت، دار العلم للملايين.
يوهان فك، ١٤٠٠ هـ.ق / ١٩٨٠ م، العربية، ترجمه: الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجى بمصر.